تصدرها وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية

العـــدد ٧١٤- ٧١٥ الســـــنة ٦٢ شعبان- رمضان ١٤٤٤ هـ - آذار- نيسان ٢٠٢٣م

رئيس مجلس الإدارة

الدكتورة لبانة مشوّح

وزيرة الثقافة

المدير المسؤول

د. نايف الياسين

رئيس التحرير

د. فايز الداية

أمينة التحرير

د. شهلة السيد عيسى

هيئة التحرير

د. إنصاف حمد

د. خلف الجراد

د. سعد الدين كليب

م. محمود نقشو

د. ناديا خوست

د. وائل بركات

الإشراف الطباعي: **أنس الحسن**

التصميم والإخراج: **ردينة أظن**

التدقيق اللغوي: **أماني الذبيان**

الموسيقا والغناء في فلسطين والأردن

د. سيد علي إسماعيل*

سـأتحدث هنـا عـن «بدايات الموسـيقا والغناء في الأردن» معتمداً على الصـحف الفلسـطينية التي كانت تتابع كل شيء في إمارة شرقي الأردن، وتوقفت عن الصدور بعد النكبة (١٩٤٨).

الأسطوانات كانت البداية

ظلـت الأردن مرتبطـة بفلسـطين منذ أن كانت إمارة، وكان الارتبـاط في معظم مناحي الحياة الاجتماعية، فأي شـيء يظهر في فلسـطين، كان لإمارة شـرقي الأردن نصـيب منه!! فعلى سـبيل المثال عندما انتشرت أسطوانات الغناء، وأصبح لها محلات ووكلاء لبيعها،

نجد الصـحف تُعلن عنها وعن وكلاء بيعها في فلسـطين وشـرقي الأردن عام (١٩٢٧)، والإعلان كان لجرامافونات وأسطوانات ماركة «أوديون»، حيث إن أسطواناتها تحتوي على أغاني أشهر المغنين في العالم، ووكيلها العام في فلسطين وشرقي الأردن، هو «توفيق ناصر» كما جاء في الإعلان[1].

ومـع انتشار أسطوانات الغنـاء أصبحت لها محلات خاصة، ومـن أهمها «محلات بوتاجي» وكان وكيلها في عمّان «سليم كاتبه»، الذي أدخل أسطوانات «المطربة أم كلثوم» إلى الأردن لأول

* كلية الآداب جامعة حلوان - مصر.

مـرة، وجاء في الإعلان الآتي: «(الآنسـة أم كلثوم) صوتها جميل رنان ومطرب للغاية ولا أتردد أن أقـول إنهـا جريمـة عظيمة على كل رب بيـت أن يحرم نفسه وعائلته مـن التلذذ بسماع هذه الساحـرة ولهـا أسطوانة جديدة اسمهـا «أخذت صونك من روحي» من أبـدع الأسطوانات التي ظهرت لتاريخ اليوم. اسمعها واحكم بنفسك، وهاكم الطقطوقة: (صحيح خصامك والاهزار .. قـل لـي ده أنا قلبي على نار، إيه يعني لما أقصد عندك .. وأتقل عليك، وأبين الصد في ودك .. والروح إليك، خلاص تروح ما تكلمنيش .. وتغيب وأنا قلبي على نار... إلخ»[٢].

واستمـرت الصحف تنقل لنا إعلانات محلات بوتاجي لأسطوانـات أوديون لأم كلثوم، التي خلعـت عليها لقب «ملكة الموسيقا» قائلة: «يسرنا أن نفيد الجمهور الكريم أنه قد ورد لنا خمس أسطوانـات جديدة لملكة الموسيقا الآنسة أم كلثوم... وتباع في محلات وجهات كثيرة منها في عمّان عند السيد داود حنانيا»[٣].

بعـد عامين ظهر لمحـلات بوتاجي منافس آخر هو «محـلات أبو صلاح العـكاوي»!! فإذا كان بوتاجـي مختصـاً بأسطوانـات أوديون لأم كلثـوم فـي الأردن، فإن العـكاوي كان مختصاً بأسطوانـات بيضافون لمحمد عبد الوهاب، وفي أول إعـلان وجدناه قالت الصحف: «... نعلن الجمهور الكريم عن بضائع شركة بيضافون الوطنية لصاحبها والمتعهد لعموم فلسطين وشرق الأردن السيد «أبو صـلاح العكاوي». اطلبوا أسطوانات الموسيقار المتفنن الشهير «محمد عبد الوهـاب». نطلب منكم سماع أسطواناتـه الجديدة الخالية من الخشخشـة والمسجلة بشركتنا علـى الكهرباء بالصوت اللطيف المطرب وهي (كلنا نحب القمر والقمر يحب مين، اللي انكتب علـى الجبيـن لازم تشوفه العين، على غصون البان عصفورتـان تتناجيان، يا جارة الوادي، أنا أنطونيو وأنطونيو أنا)[٤].

لم تكن أسطوانات أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب هي الوحيدة التي يسمعها الشعب الأردني، بـل كانت هناك أسطوانات أخرى – تُباع عند شفيق الحايك بجرش – مثل أسطوانات المطربة «نـادرة»، التي ابتكرت الصحف أسلوباً جديـداً للإعلان عنها، عندما قالت جريدة «الكرمل» – يوم ١٩٣٠/٩/٦ – تحت عنوان «نادرة... الصوت الحنون الذي يأخذ بمجامع القلوب»:

«هـل تصورت ذلك المسافر المسكين الذي تاه في الصحراء مع رفاقه لأنهم لم يهتدوا إلى طريـق الرجـوع فضلوا أياماً في الصحراء، وقد نفد منهم الماء إلى أن وصلوا على وشك الموت مـن العطش. وكان في أثنـاء ذلك أصدقاؤهم يفتشـون عنهم بطائرة حلقت فـي السماء أياماً وساعـات تفتش عـن الضائعين إلى أن عثروا عليهم. فكان أول ما عملوا أن بادروا إلى إسعافهم

بقليـل مـن الماء. فتأمل أيها القارئ العزيز قيمة ولذة تلك الجرعة من الماء. فبعد أن تصورت هـذه الحادثـة في مخيلتك هلم بنـا نسمع أسطوانة مـن الأسطوانات الجديـدة لأميرة الطرب «نـادرة» فكأنـي وأنا أسمعها في عالـم الخيال أسمع ذلك الصوت الحنـون الذي يأخذ بمجامع القلـوب. فكأنها تلك الطائرة تقدم جرعة الماء إلى النفس العطشانة والتي على وشك الهلاك. ولئـلا تظن إني أبالغ في الوصف أرجوك تزور محل «بوتاجـي» القريب عليك لسماع الأسطوانة التالية: (لما أمرت الفؤاد باللحظ لباك .. صبح أسيرك ومن بالحسن رباك، ع البعد لما القمر يشبه ضيا صباك .. أبكي وأشكي له لكنه يزيدني نار، أشكي لمين يا عذاب المغرم الباكي)».

الجرامافون

غرامافون

اهتمـام الشعب الأردني بالموسيقا والغناء جعل بوتاجي يفتتح فرعاً لمحلاتـه في عمّـان، وأعطى هدية ثمينـة لكل أردني اشتـرى ماكينة جرامافـون في أول شهر من الافتتاح!! هكذا نشرت جريدة «فلسطين» إعلانها تحت عنوان «فرع جديد لمحلات بوتاجي في عمان»[٥]. وزيادة في التشويق والتسويق لهذه الآلة في الأردن، نشرت الصحيفة إعلاناً جديداً في أسلوبه، يشتمل على صورة فوتوغرافية بها مجموعة من الأردنييـن يجلسون حول آلـة الجرامافون! هذه الصـورة أرسلها أردني إلى إميل بوتاجي مرفقاً بها خطاباً قال فيه:

«عزيزي إميـل: قياماً بالوعد أبعث إليكـم برسالتي الثانية عن رحلة الجرامافون في شرق الأردن ولست أدري كيف أصف لكم هذه الآلـة العجيبـة فإنها حقيقة مغناطيس جذاب ومطرب كبير ولسـت أدري كيف كنت أرى الحياة بـدون هـذا الرفيق المخلص. والآن أسرد لكم مـا حصل لنا في عصر أحـد الأيام فرغت من أشغالـي قرب الساعة السادسة وقد أوشكت الشمس إلى الـزوال فأسرعت إلى خيمتي وجلست علـى الصفيحـة المعهـودة وأمرت صديقـي ورفيقي جرامافـون «هيز ماسترس Masters is Voice» أن يتحفنـا بصوتـه المطرب فكنت أسمع أسطوانات جديـدة اشتريتها من محلكم في عمان وبوقت قصير رأيت جمهوراً كبيراً من العربان تجمهروا على خيمتي يستمعون إلى الأنغام الجميلة فوضعت الجرامافون أمامهم وجلسوا حوله معجبين وقد أخذت رسمهم [أي صورتهم] علـى هـذه الحالة لإرساله لكم لتنشروه. وقـد سررت جداً لأنه أتيح لي فرصـة لأنشر قليلاً من

الطرب في الصحراء. ولا أقدر أن أصف لكم إعجابهم بها وقد طلبوا أن يشتروها مني عارضين عليّ أن اختار ثمنها من مواش وسمنة وخلافه؛ ولكني فضلت أن أحتفظ برفيقي الأمين ولا غنى لي عنه. ودمت لصديقك [توقيع] «أنيس»».

وعلق بوتاجي على هذا الخطاب، قائلاً: «إن أفضل ما يعتاد عليه الإنسان هو الاستماع إلى الموسيقا على جرامافون «His Masters Voice» في عصر كل يوم لأن بهذه الواسطة يمكن أن ينال فوائد جزيلة لإنعاش نفسه وراحة جسمه. وقد أجمع الأطباء أن الاستماع إلى الألحان الجميلة له تأثير عظيم لتهدئة الأعصاب. وبوتاجي يقدم جرامافون جميل مضمون بأسعار رخيصة جداً وذلك من أربع جنيهات فصاعداً ويمكن الحصول عليها من محلنا في عمّان وعموم الوكالات»[٦].

سامي الشوا ولور دكاش

انتقلت الأردن من مرحلة السماع غير المباشر - عن طريق الأسطوانات - إلى السماع المباشر بحضور الفنانين عام (١٩٢٩)، عندما زار عمّان «سامي الشوا» - أشهر عازف كمان في هذا الوقت – بمصاحبة المُطرب «يحيى السعودي» وعازف آلة السنتير «أرتين»، وأقاموا عدة حفلات في لوكاندة فيلادليفيا بعمّان[٧]. وتكررت زيارات الشوا إلى عمّان، وكانت أهمها على الإطلاق زيارة عام (١٩٣١) عندما استقبله الأمير عبد الله في قصره ومنحه وسام الاستقلال مع لقب بك!! وقد نشرت جريدة «مرآة الشرق» يوم (١٩٣١/٨/٢٢) تفاصيل هذا الحدث قائلة تحت عنوان «سمو الأمير عبد الله وأمير الكمنجة»:

«احتفى سمو الأمير عبد الله احتفاء كبيراً بأمير الكمنجة الشرقي سامي بك الشوا أثناء وجوده في عمّان. وقد دعاه إلى حفلة أقامها له في قصره وكان مما قال: اتبعت خطواتك في أوروبا وكنت من المعجبين بك. وقد كان قلبي يطفح فرحاً وسروراً كلما قرأت عن تقدير الغربيين لمواهبك السامية. فوجب علينا والحالة هذه أن نقوم بشيء من نحوك دلالة على هذا التقدير وها أنا أمنحك وسام الاستقلال من الدرجة الثالثة مع لقب بك. وبينما كان أمير الكمنجة في قصر الأمير إذا بوكيل المعتمد البريطاني يجيء إلى دار الإمارة فقدم سمو الأمير سامي بك الشوا إليه. فطلب الوكيل أن يقوم بعزف شيء على الكمنجة فأخذ كمنجته وجعل يعزف عليها بتلك الأنامل الرقيقة عزفاً أخذ بمجامع القلوب حتى أن الوكيل طلب إليه

سامي الشوا

أن يقوم بعزف دور ثان وثالث ورابع. وقد ذكر له أنه كان يقرأ بإعجاب كل ما كانت تنشره الصحف البريطانية عنه وهو لذلك مغتبط لهذه الفرصة التي أتاحت له أن يتعرف بأمير الكمنجة الشرقي».

اهتمام الأمير عبد الله بالموسيقا والغناء ازداد عندما زارت المطربة «لور دكاش» الأردن عام (١٩٣٢). وهذه الزيارة كانت تاريخية كونها الأولى للمطربة، فاهتمت بها الصحف ونشرت إعلاناً قالت فيه تحت عنوان «بشراك يا عمّان»: «سيتمتع أهلوك قريباً بسحر صوت نابغة الغناء المجددة «الآنسة لور دكاش» التي قررت، نزولاً عند الرغبة الملحة في أن لا يكون الأردنيون أقلّ حظاً من الفلسطينيين في سماع الأغاريد التي ذاعت شهرتها في أنحاء البلاد العربية، أن تحيي حفلتين من حفلاتها الغنائية الساحرة في عمان عاصمة الشرق العربي وذلك يومي الثلاثاء والأربعاء ١٨ و١٩ الجاري، فليستعد إخواننا الأردنيون للاستمتاع بفن ناضج عبقري وليحجزوا تذاكرهم من الآن»[٨].

بسبب هاتين الحفلتين كان لقاء المطربة مع الأمير عبد الله، ناهيك عن اهتمام الصحف بهذا الحدث الفني، فجريدة «فلسطين» نشرت كلمة بعنوان «الآنسة لور دكاش تقابل الأمير عبد الله»، قالت فيها: «وصلت الآنسة لور دكاش المطربة الفنانة إلى عمان ونزلت في فندق فلادليفيا وتشرفت اليوم بمقابلة سمو الأمير في قصر رغدان مقابلة خاصة فتلطف سموه وأكرمها غاية الإكرام وأبدى شديد إعجابه بصوتها الملائكي الرخيم وفنها المبتكر العالي وشجعها على رفع شأن الغناء العربي وتنبأ لها بأنها ستكون كوكباً لامعاً في سماء السينما الناطقة وتقبل أسطوانة «طلوع الفجر» التي قُدمت لسموه وأصغى لسماعها وأبدى سروره بها. ثم طلبت الآنسة لور من سمو الأمير أن يسمح لها بأن تحيي حفلة الوداع تحت رعايته فقبل وطلبت بعد رجوعها من القدس أن تزور ضريح المغفور له الملك حسين والده وترثي جلالته بقصيدة وتضع إكليلاً من الزهور على الضريح. وستتناول غداً طعام العشاء في قصر رغدان العامر بدعوة من سموه»[٩].

فلسطين
"LA PALESTINE"
بشراك يا عمان !. .
سابع أعجوبة مرة أخرى يسحر صوت ثابتة الفقيد المفدود
الآنسة لور دكاش

وبعد يومين نشرت الجريدة خبراً بعنوان «مأثرة جديدة للآنسة لـور دكاش»، قالت فيه: «كانت الحفلـة الثانية للآنسة لور دكاش في عمان على أتـمّ ما يكون من البهجة والازدحام ولاقت الآنسة لور كل تقدير وإعجاب. وقد ثارت الغيرة في الوطنية صدر الآنسة فطرحت أسطوانتهـا «طلوع الفجر» التي أهديت للملـوك والأمراء في المزاد العلنـي فكانت من نصيـب الشاب الأديب نعمة العـواد أحد موظفي البنـك الزراعي في عمّان بمبلـغ ٧٩ جنيهاً فلسطينيـاً. وفي الحال تبرعت المطربة الفنانة بهذه القيمة للجمعية الخيرية بعمان»[١٠].

وبعـد يومـين أيضـاً نشـرت الجريدة خبـراً بعنـوان «المطربة الشهيـرة الآنسـة لـور دكاش فـي حضرة سمـو الأمير عبـد الله»، قالـت فيـه: «تشرفـت المطربة النابغـة الآنسـة لور دكاش بزيارة صاحب السمو الملكـي الأمير عبد الله في قصر رغدان العامر بنـاء على طلبه الكريـم فألقت أمامه خطابـاً حماسياً مؤثراً وأنشـدت لسموه بعضـ قصائدها الفريـدة فأعجب لجمال صوتهـا وسحـر أنغامها وبشرهـا بمستقبل باهـر وقال لها: (إننـي لأول مرة أسمـع مطربة أديبة وخطيبـة حديثة السن نظيـرك على مقدرة عظيمة في فن الموسيقا والغناء). ولفرط إعجابـه بصوتها الرخيم قدمها إلى حرمه المصون للتعرف عليها وبقيت في حضرة سموه ثلاث ساعات ونصف ساعة وحديثهما فن الموسيقـا والغناء. وقد دعاها سمو الأمير يوم السبـت مساء إلى حفلة عشاء فاخرة في قصره العامـر حضرها كبار رجـال الدولة ووجهاء المدينة وعلماؤها وقد أصـدر أمره الكريم بوجوب تسهيل المعاملة لها وقدم لها سيارته الخاصة لاستعمالها أثناء وجودها في عمان»[١١].

لور دكاش

أمـا جريـدة «الجامعة الإسلاميـة» فنشرت تفاصيل أكثـر تحت عنوان «الآنسـة لور دكاش ووالدهـا على مائـدة الأمير عبد الله»، قالت فيها: «إن الآنسة لور دكاش عند وصولها إلى عمان استقبلها وفد كبير من أعيان البلاد وكانت سياراتهم مزدانة بالأزهار وعند وصولها إلى الفندق دعاهـا سمو الأمير لزيارته فلبت الدعوة وعند وصولهـا ألقت كلمة ثم قدمت له أسطوانة طلوع

الفجـر فسمعها ودهش غاية الاندهاش لما فيها من الابتكار في فن الغناء وشكرها وهنأها على هـذا النجاح ومما قاله إن هذه أول مرة يسمح لفتاة بمقابلته ولأول مرة يسمع آنسة تخطب بلغة عربيـة فصحـى ولأول مرة يسمع صـوت فتاة عذب ثم طلبـت من سموه بأن تحيـي حفلة تحت رعايته وأخرى للسيدات تحت رعاية سمو الأميرة فأجاب طلبها وفي الليلة الثانية دعاها للعشاء علـى مائدة سمو الأميرة ودعا والدها على مائـدة سموه فتناولا العشاء وفي اليوم الثاني أقامت الحفـلات وكان الإقبـال عليها عظيماً جـداً حتى لم تعد تتسع القاعة لكثـرة الازدحام وفي يوم الأحد أحيت حفلة تحت رعاية سموه باسم الجمعية الخيرية وفضلاً عن ذلك قدمت أسطوانتها التـي أهديـت للملوك والأمراء وهي «طلـوع الفجر» لرئيس الجمعية فوضعهـا في المزاد العلني فأقبـل النـاس على المزايـدة حتى بظرف نصف ساعـة ارتفع الثمن إلى ٧٤ جنيهـاً فلسطينياً ورسـت المزايدة على نعمة بك دخـل الله ولولا ضيق الوقت لكانت وصلت إلى المائة والخمسين جنيهـاً وفي مساء يوم الاثنيـن دعاها سمو الأمير مع والدها لتنـاول العشاء فذهبا إلى القصر وكان مزداناً بالأنوار الكهربائية والأزهار فجلس سمو الأمير والأمير طلال ونايف وشاكر ورجال الحاشيـة ورئيس ورجـال الحكومة وفؤاد باشـا الخطيب وغيرهم من العظماء ثـم دعتها سمو الأميـرة وقدمت لها خاتم من الماس الثمين وقدم لها الأمير مبلغاً وكتاباً يحتوي على تشجيعها فـي الجري وراء فنها ومداومـة ابتكاراتها وكانت عموم الهيأة بغاية ما يرام من الإعجاب بفنها فضـلاً عن صوتهـا وعند الانتهاء ودعـت سمو الأميـر والحاشية وجميع الحضـور لعزمها على السفـر إلى القدس. وعند الصباح حضر إلى فندق فلادليفيـا أعيان المدينة ومنهم فؤاد باشا وعبـد السلام بك وودعوها وكانت مدعوة لحفلة تكريميـة في الصلت فتناولت الغداء مع رجال الحكومة وأعيان البلدة ثم غادرتها إلى القدس»[١٢].

انتشار الغناء

اهتمـام الأردن بالغنـاء – ودعم الأميـر عبد الله له – أسهم في انتشـار حفلاته. ففي عام (١٩٣٢) أقامـت جمعية مساعدة العمال في عمّان حفلتيـن غنائيتين أحياهما المُطرب «يحيى السعـودي». وفي عام (١٩٣٤) جاء المطرب «الشيخ سيد الصفتي» إلى فلسطين والأردن وقدّم حفلاتـه الغنائية فيهما. وفي عـام (١٩٣٥) جاءت عمّان المطربة «فتحيـة أحمد» وأحيت عدة حفـلات، نشرت جريدة «الجامعة الإسلامية» كلمة عنها، قالت فيها: «ستحيي مطربة القطرين

سيد الصفتي

فتحية أحمد

الآنسـة فتحية أحمد مع تختها المؤلف من أشهـر نوابغ الفن الموسيقي ثلاث حفلات في عمان وحفلـة خصوصية للسيـدات». وفي عام (١٩٣٧) نشـرت جريدة «الجامعـة الإسلامية» صورة للمطربـة «سعاد محاسن»، علقـت عليها قائلة: «عادت أمس من عمّان وقـد وردتنا منها الكلمة الآتيـة: أشكـر صاحـب السمو الملكـي الأمير عبد الله لمـا شملني به من عطف ومـا حباني به مـن كرم أثنـاء المدة التي قضيتها في ضيافـة سموه في عاصمة إمارتـه أدامه الله». وفي عام (١٩٤٣) زار عمّان ولأول مرة المطرب «صالح عبد الحي» وقدّم عدة حفلات غنائية. وفي العام نفسـه نشرت جريدة «فلسطين» إعلاناً ضخماً بمناسبة قدوم المطرب «فريد الأطرش» لتقديم مجموعة حفلات غنائية على مسرح سينما البتراء بعمّان[١٢].

الهوامش

(١)- ينظر: جريدة «فلسطين»، ١٩٢٨/١/٢٧، ص٣.

(٢)- جريدة «مرآة الشرق»، ١٩٢٧/٣/١٠، ص١.

(٣)- جريدة «مرآة الشرق»، ١٩٢٨/١٢/١٣، ص٤.

(٤)- جريدة «الكرمل»، ١٩٣٠/٢/١، ص٥.

(٥)- ينظر: جريدة «فلسطين»، ١٩٣٠/١٠/٢٨، ص٨.

(٦)- جريدة «فلسطين»، الجرامافون في شرق الأردن، ١٩٣٢/٦/٤، ص٨.

(٧)- ينظـر: جريـدة «فلسطين»، أمير الكمنجـة، ١٩٢٩/٨/٨، ص٥، جريدة «الجامعة العربيـة»، أمير الكمنجة في عمّان، ١٩٢٩/٨/١٢، ص٣.

(٨)- جريدة «فلسطين»، بشراك يا عمان، ١٩٣٢/١٠/١٦، ص١٠.

(٩)- جريدة «فلسطين»، الآنسة لور دكاش تقابل الأمير عبد الله، ١٩٣٢/١٠/٢٣، ص١٠.

(١٠)- جريدة «فلسطين»، مأثرة جديدة للآنسة لور دكاش، ١٩٣٢/١٠/٢٥، ص٩.

(١١)- جريدة «فلسطين»، المطربة الشهيرة الآنسة لور دكاش في حضرة سمو الأمير عبد الله، ١٩٣٢/١٠/٢٧، ص٩.

(١٢)- جريدة «الجامعة العربية»، الآنسة لور دكاش في عمان على مائدة الأمير عبد الله، ١٩٣٢/١٠/٢٨، ص٣. وأيضاً جريدة «الجامعة الإسلامية»، الآنسة لور دكاش ووالدها على مائدة الأمير عبد الله، ١٩٣٢/١٠/٢٨، ص٧.

(١٣)- ينظر: جريدة «الجامعة الإسلامية»، ١٩٣٢/١٠/١٢، ص٥، و١١، ١٩٣٥/١/١٣، ص ٥ و٣، و١٩٣٧/٤/٢٨، ص٢، جريدة «فلسطين»، ١٩٤٣/١٠/٥، ص٤، و ١٩٤٣/١١/٢٨، ص٤.

* * *